كلمات

الأبطال الحقيقيون!

أبطال البشرية فئة من أبنائها قد أنعم الله عليهم من العلاء بمواهب طبيعية، أضافوا إليها مزايا اكتسابية، جعلتهم يفوقون أهل عصرهم في مزاولة أعمالهم. فازدانوا من البدن بأقواه وأكمله، ومن النفس بأبهاها، ومن الشعور بأدّقه وأرقّه، ومن العقل بأمضاه وأثقبه، ومن الإرادة بأحكمها وأحزمها. فكانوا ولا يزالون في كل عصر «آية الله في خلقه». وذلك بإحاطتهم علماً بأغوص الأمور وأبعدها غوراً، مما عجزت العامة عن نيله، فتمكّنوا من نقل الإلفة من حال سيئ الى حال صالح، ومن حال حسن إلى حال أحسن. فجاراهم في ذلك السبيل قومهم، وانقادوا إليهم عن رضى وارتياح، لما توسّموا فيهم من الكفاية لتحقيق ما كانوا هم يدركونه إدراكاً ناقصاً ومبهماً، ويسعون في اقتنائه بإرادة واهنة.

وعليه يكون أبطال البشرية أئمّة في الأمة، وقادة عظيمي النفوذ في الإلفة، لا متحكّمين فيها تحكّم المسيطرين المستبدين، وقى الله عباده شر أمثال هؤلاء الطغاة، وأكثر للأوطان من الخَدَمَة أمنهم، ومن الزعماء أقدرَهم وأنشطهم، ومن النوابغ أذكاهم وأدهاهم، ومن الأبطال أشجعَهم وأبسلَهم.

متى ننعتق في مجتمعاتنا من عبث العابثين الذي كان لينكره رائد مسرح اللامعقول صموئيل بيكيت؟ متى تنتهي مسرحيتنا السياسية الهزلية المتفاقمة؟

استفتوا، يا جماعة الخير، قوانين الأرض وشرائع السماء تدركوا معنى الحرية المسؤولة في غير مجال وعلى غير صعيد، وكذلك كون الأديان والنواميس التي تتشدّقون بها لا تناهض تلك الحرية ولا تدعو إلى التفلّت من قيدها. أما العقلانية المَرْوَحَنَة التي ينبغي التمشي عليها أيضاً فهي تستمدّ مبادئها من طبيعة نفس الإنسان وتتصف بالتنزّه عن المادة والامتداد شطرَ الأشياء العامة أو غير المحدودة... اقدموا أيها السادة للحفاظ على كيان الدولة قبل أن نخسر جميعاً الرهان عليها وعلى وجودنا ووجودكم على السواء.

د. جهاد نعمان
استاذ في المعهد العالي للدكتوراه